﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدُّخان: 43 - 46]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

عِظَمُ الإجرام يُقابله شدَّةُ العذاب وعظيمُ الانتقام

لمّا أقام اللّه تعالى الدَّلالةَ على أنَّ أمرَ القيامةِ حقٌّ، ثُمَّ أردَفهُ بوصف ذلك اليوم؛ ذكرَ عقيبَهُ وعيدَ الكفّار[1]، وما سَيُقاسونَه من أهوالٍ في النّار، حتّى الطَّعام الذي يأكلونه يكونُ فيهِ شدَّةُ إيلام؛ ليعلموا أنَّ عِظَمَ الإجرامِ، والإسرافَ في عمل الآثام يُقابِلُه عظيمُ الانتقامُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَجَرَتَ﴾: (شجر) تدلُّ اشتقاقاتها على تداخُل شيءٍ في شيء، وعلوٍّ في الشَّيء وارتفاع[2]، والشَّجَر والشَّجرة: ما كان على ساقٍ من نبات الأرض، وكان له أغصانٌ وظِلّ، يُقال: شَجَرَة وشَجَر، كثمَرةٍ وثَمَر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾، وجمعُ الشَّجرة: شجَرٌ وشجرات وأشجارٌ[3].

2) ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾: (زقم) تدلُّ اشتقاقاتُها على جنسٍ مِنَ الأكل[4]، ومِنْهُ الزَّقوم؛ وهو اسمٌ لطَعام فيه تمرٌ وزبد، وهو أيضًا: عبارة عن أطعِمَةٍ كريهَةٍ أعدَّها اللّهُ في النّار لأهل النّار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾، وهو كلُّ طعام ثقيل[5]، ومنه قيل: زَقَم فلان وتزقَّم؛

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 663، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 589، والهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 389.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شجر).

(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (شجر).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زقم).

(5) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 293.

إذا ابْتَلَع شيئًا كريهًا[1]، والزَّقْم: أكلُ الزَّقوم وشرب اللَّبن والإفراط فيه، وأزْقَمْتُه الشَّيءَ؛ أي: أبْلَعْتُه إيّاه، فازْدَقَمه؛ أي: ابتلعَهُ، وزقَمَ يزقُم زَقْمًا مثله أيضًا[2].

3) ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: (أثم) تدور اشتقاقاتُها على البُطْء والتَّأخُّر[3]، والإثم والأثامُ: الذَّنب، وهو اسمٌ للأفعال المُبْطِئَة عن الثَّواب، وجمعُه: آثام، وقد أثِم الرَّجل إثمًا ومأثمًا وأثامًا، فهو آثِمٌ وأثِمٌ وأثيم؛ إذا وقَعَ في الإثم، وتأثَّم: خرجَ من إثمِه وتحرَّج منه وكفَّ عنه، كقولهم: تحوَّب وتحرَّج؛ أي: خرج من حَوْبِه وحَرَجه؛ أي: ضيْقِه، والآثِمُ: المُتحمِّل الإثم، وقوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ [القلم: 12]؛ أي: آثم[4]، وأثَمَهُ اللّه في كذا يأثِمُه إثمًا وأثامًا؛ أي: عدَّهُ عليه إثمًا، وجزاه عليه جزاء الإثم، فهو مأثوم؛ أي: مَجْزِيٌّ جَزاءَ إثمه[5].

ومعنى قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾؛ الأثيم: الآثم والفاجر كثير الآثام[6].

4) ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: (مهل) تدلُّ تصريفاتُها على جنسٍ من الدّائبات[7]، والمُهل: ضربٌ مِنَ القطران ماهِيٌّ رقيقٌ يُشبه الزَّيت، وهو دَسِمٌ تُدهَن به الإبل في الشِّتاء، ومَهَلْتُ البعيرَ؛ أي: طلَيْتُه بالخَضْخاض، فهو مَمْهول[8]، والمُهْل: ما أُذيبَ من جواهر الأرض من الذَّهَب والفضَّة والنُّحاس، وهو كذلك: القيحُ والصَّديد أيضًا، قال اللّه تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾؛ أي: النُّحاس الذي يُمهَلُ في النّار حتى يذوب[9].

5) ﴿يَغْلِى﴾: (غلي) تدلُّ اشتقاقاتُها على الغلَيان؛ وهو بلوغُ حرارة الشَّيء أعلاها، وتقلُّبُهُ وارتفاعهُ في وعائه[10]، وغَلَتِ القِدرُ تَغْلي غَلْيًا وغَلَيانًا؛ إذا فارت وطفحَت بما فيها، وأغلاها وغلّاها[11]، ومنه استُعير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾؛ أي: يفور ويطفح من شِدَّة الإيقاد؛ فاستُعير ذلك لِما يجدونهُ من العذاب

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زقم).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (زقم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثم).
(4) الراغب، المفردات: (أثم).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (أثم).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 149، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 103، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 294.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مهل).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مهل).
(9) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 149، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 103.
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلى).
(11) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (غلو).

الحميمِ الذي في أجوافِهم، ومنه استُعير غليانُ الغضَب؛ نحو تحرَّق وتميَّز مِن الغيظ[1].

6) ﴿ٱلۡبُطُونِ﴾: (بطن) تدور تصريفاتُها على إنسيِّ الشَّيء والمُقبِل منه[2]، والبطن: خلافُ الظَّهر في كلِّ شيء، ويُعَبَّر به عن داخل الشَّيء كما يُعَبَّر بالظّاهر عن خارجه، وجمعه: أبطُن وبُطون وبُطنان، ويُقال للجهة السُّفلَى: بطن، وللجهةِ العليا: ظهر، والبَطنُ من كلِّ شيء: جَوفُه، ويُقال لكلِّ غامض: بطن، وبطَنَ الشَّيءُ: خَفيَ، كأنَّه في بَطن.

ويقال: بَطِن يَبطَنُ بَطَنًا وبِطْنَةً، وبَطُنَ وهو بَطينٌ، وذلك إذا عظُم بطنُه، والبَطِن: كثيرُ الأكل، والمِبطان: الذي يُكثر الأكلَ حتَّى يعظم بطنُه، ويُقال: ثَقُلَت عليه البِطنة، وهي أن يمتلئَ البطنُ من الطَّعام امتلاءً شديدًا[3].

وقوله تعالى: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾؛ أي: بطون الكفّار[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شجرة الزَّقّوم مِن الغذاء المطعوم للآثم المذموم

في هذا البيان القرآنيِّ وعيدٌ شديدٌ بما أعدَّه الله تعالى للكافرين في جهنَّم يوم القيامة؛ من الطَّعام الَّذي سيكون من شجرة الزَّقّوم المخلوقة في أصل الجحيم الَّتي جعلها الله تعالى غذاءً للكافر الفاجر كثير الآثام، وهذا الغذاء سيكون كالنُّحاس المُذاب الَّذي سيغلي في بطون هؤلاء الكفّار كغلي الماء البالِغ نهايةَ الحرارة؛ جزاءً لهم على كفرهم وكثرة آثامهم[5].

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غلو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بطن).
(3) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بطن).
(4) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 236، والخازن، لباب التأويل: 4/ 120.
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 239، والزحيلي، التفسير المنير: 25/ 236.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّة فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ عن سابقه:

زيادةُ بيانِ ما يُصيب الكافرين مِن العذاب المُهين

فُصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه جملةٌ استئنافيَّة[1] فيها تفصيلُ بيانِ حال الكافرين يوم القيامة؛ حيث إنَّه لمّا ذكرَ اللّه سبحانه فريقًا مرحومين على وجه الإجمال؛ قابَلهُ هنا بفريقٍ معذَّبين وهم المشركون، ووصف بعض أصناف عذابهم وهو مأكلهم وإهانتهم وتحريقهم، فكان مقتضى الظّاهر أن يُبدَأ الكلام بالإخبار عنهم بأنَّهم يأكلون شجرة الزَّقّوم، وعُدِل عن ذلك إلى الإخبار عن شجرة الزَّقّوم بأنَّها طعامُ الأثيم اهتمامًا بالإعلام بحال هذه الشَّجرة[2].

نكتة توكيد جملة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾:

عذابُ الكافرين حقٌّ بلا مرية، فقد أعظموا على الله الفِرية

جاءت جملة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ مؤكَّدة بـ﴿إِنَّ﴾ لكون المخاطَب مكذِّبًا منكِرًا معتقدًا خلافَ الخبر؛ فاقتضى توكيدَ الخبر؛ للمبالَغة في التَّرهيب والتَّخويف مِن العذاب الذي ينتظرهم يوم الحساب إنْ هُم أصرّوا على كفرهم وعنادهم.

نوعُ الإضافة ودلالتُها في ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾:

الإضافة لإفادة التَّحقير، وترهيبِ المكذِّبين مِن سوء المصير

الإضافة في قوله تعالى: ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ معنويَّة، وقد أفادت مع التَّعريفِ تحقيرَ المضاف - وهو الشَّجرة - بإضافتها إلى ما يُستشنَع ويَقبُح؛ وهو الزَّقّوم.

وشجرة الزَّقّوم هي الشَّجرة التي خلقها اللّه تعالى في جهنَّم، وسمّاها الشَّجرةَ الملعونة، فإذا جاع أهلُ النّار التَجؤوا إليها فأكلوا منها، فغَلِيَت في بطونِهم كما يغلي الماءُ الحارُّ[3]، نسأل اللّه السَّلامة!

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 136.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 314.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 149.

وقد جُعِلت شجرة الزَّقّوم شيئًا معلومًا للسّامعين، فأخبر عنها بطريق تعريف الإضافة؛ لأنَّه قد سبق ذِكْرُها في سورة الواقعة التي نزلت قبل سورة الدُّخان، فإنَّ الواقعة عُدَّت السّادسةَ والأربعين في عِداد نزول السّوَر، وسورةُ الدُّخان عُدَّت الثّالثة والسِّتِّين[1].

معنى التَّعريف في ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾:

ذكَّر الله الكافرين بما خوَّفهم به سلَفًا، فما زادَهُم إلّا استكبارًا وأنَفًا

التَّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّقُّومِ﴾ للعهد، والتَّقدير: الزَّقّوم الذي حدَّثكم القرآن عنه مِن قبل في وصف الشَّجرة الملعونة، وذلك في قوله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا﴾ [الصافات: 65]؛ أي: الزَّقّوم في شناعته وبشاعته ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصّافّات: 65 - 66].

نوعُ الإضافة ودلالتُها في ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾:

طعامُ الآثمين عذاب، ولونٌ مِن ألوان العقاب

إضافةُ الطَّعام إلى الأثيم في قوله: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ إضافةٌ معنويَّةٌ، وغرضُها تحقيرُ المضاف وتبشيعُه في ذهن السّامع، والإشارةُ إلى أنَّ هذا الطَّعام ليس ممّا يُكرَمُ به، بل هو لونُ عذاب، ونوعُ عقاب.

معنى كون الشَّجرة طعامًا:

سمِّيت الشَّجرة طعامًا؛ لأنَّها مصدر الطَّعام، وهي عذابٌ لأصحاب الآثام

معنى كون الشَّجرة طعامًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ أنَّ ثَمَرَها طعامٌ، كما قال تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦﴾ [الصّافّات: 65 - 66][2]، والطَّعام ما يُتَناول منه مِن الغذاء، وأصلُه مصدرٌ؛ فَلِذا وقع خبرًا عن المؤنَّث ولم يطابق، فكأنَّه قيل: إنَّ الزَّقّوم طعامُ الأثيم[3].

معنى التَّعريف والمبالغة في ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾:

التَّعريفُ للعهد والمبالغةُ للتَّكثير

التَّعريفُ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾ للعهد؛ حيث إنَّ المقصود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 314.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 314.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 131.

بهذا اللَّفظ أبو جهل، فقد روِيَ أنَّ هذه الآية نزلت فيه، ولمّا نزلت وأشار النّاسُ بها إليه، جَمَعَ عجوةً بزُبْدٍ ودعا إليها ناسًا، وقال لهم: "تَزَقَّموا، فإنَّ الزَّقّوم هو عجوةٌ يثربَ بالزُّبد، وهو طعامي الذي حدَّث به محمَّد"، وإنَّما قصدَ بذلك ضربًا مِن المغالطة والتَّلبيس على الجهَلة[1].

وذهبَ بعضُ أهل العلم إلى أنَّها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ[2].

ويصحُّ حملُ التَّعريف على الجنس، ويكونُ المرادُ به جنسُ الكافر لا واحدٌ بعينه[3]، وإن كان اللَّفظُ المفرَد الذي دخلَ عليه حرفُ التَّعريف الأصلُ فيه أن ينصرِف إلى المذكور السّابق، ولا يفيد العموم، وهاهنا المذكور السّابق هُم المشركون المذكورون في قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: 34 - 35]، فينصرف إليه[4].

وقد جاءت ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾ على وزن (فَعِيل) وهو مِن صيغ المبالَغة، ومعناه: الكثيرُ الآثام؛ للدَّلالة على المبالغة في اكتساب الآثام حتَّى مرَنَ عليها فصارت به إلى الكفر[5]؛ وذلك لدلالة ما قبلَهُ وما بعدَه عليه[6].

نكتة الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾:

كان مقتضى الظّاهر بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ أن يقال: إنَّ شجرة الزَّقّوم طعامهُم، لكنَّه عُدِل عنه إلى الإظهار في مقام الإضمار، فقال تعالى: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾.

وقد أفاد هذا الإظهارُ نكاتٍ بلاغيَّةً، منها: التَّسجيل عليهم؛ أي: تحقيق اتِّصاف محلِّ المضمَر بهذا الوصف، وأنَّه أهلٌ له؛ معنى ذلك: الحكمُ عليه به، فقوله: ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ بدل (طعامهم) أفاد بأنَّهم أثيمون.

ومِنْها: عدمُ تخصيصِ الحكم بمرجع الضَّمير، فيؤخَذُ منه تعميمُ الحكم بعُموم علَّة الوصف وهو الإثم، فيكون معيارًا للمذكور وغيره ممَّن شاركهُ في وصفِ الإثم.

---

(1) الزمخشري، الكشّاف: 4/ 281، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 76/ 5، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 150.

(2) الواحدي، التَّفسير البسيط: 20/ 117، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 407، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 65/ 8.

(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 130.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 664، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 314.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 42/ 18.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 65/ 8، والمراغي، تفسير القرآن: 25/ 134، والقاسمي، محاسن التأويل: 8/ 422، والهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 390.

التَّعريضُ بعتوِّ الفجّار

ومِنْها: التَّعليل، وذلك لأنَّ الحُكم إذا علِّق بوصفٍ دلَّ على علِّيَّةِ ذلك الوصف فيه؛ فسببُ استحقاقهم للزَّقّوم هو كونهُم متَّصفين بالمبالغة والإكثار في الإثم.

ومنها: تنبيهُ المخاطَب؛ لأنَّه إذا جاء الكلام على خلافِ السِّياق انتبَهَ المخاطَب له[1].

نكتة إفراد ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾ بعد التَّعبير بالجمع في ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾:

لكلِّ أثيمٍ عذابُه المستقلُّ

عُبِّر بالإفراد في ﴿ٱلۡأَثِيمِ﴾ بعد التَّعبير بالجمع في قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: 34 - 35]، وفي قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾؛ لتُصَوَّر صورةٌ مِن العذابِ مفردةٌ، "حيث تحصُرُ في إطارِها إنسانًا ظالمًا باغيًا مِن هؤلاء الظَّلَمة الباغين، فيبدو في هذه الصّورة وكأنَّ العذابَ الجَهنَّميَّ قد احتواهُ وحدَه، وفي شخصهِ هذا يُرى كلُّ ظالمٍ أثيمٍ أنَّه هذا الإنسانُ الشَّقيُّ المنكود، يتقلَّبُ وحدَه في هذا العذاب الذي تقشعرُّ مِن هولِه الجبال"[2]!

بلاغة التَّشبيه في قوله: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي﴾:

تـخـويـفُ كـلِّ مَـن ورَّط نفسَه بحمقٍ وجهل

في قول اللّه ﷻ: ﴿كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي﴾ تشبيهٌ مرسَلٌ مجمَل[3]؛ حيث شُبِّه ما يصير مِن شجرة الزَّقوم إلى بطونهم بالمُهل؛ وهو دُردِيُّ الزَّيت، وعكرُ القطِران، ومذابُ النُّحاس، وسائر الفِلِزّات[4]، والتَّشبيه به في سواد لونه، أو في ذوَبانه[5]، وسُمِّي ذلك مُهلًا؛ لأنَّه في

(1) العثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 1/ 201 - 202، وتفسير آل عمران: 2/ 312.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 211.
(3) الزحيلي، التفسير المنير: 25/ 233، والهرري، حدائق الروح والريحان: 26/ 411.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 663، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 407، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن: 16/ 149 - 150.
(5) الواحدي، التَّفسير البسيط: 20/ 118، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 315.

النّار حتَّى يذوب، فهو مِن المُهل بمعنى السُّكون[1]، والجملة استئنافٌ لبيان حال هذا الطَّعام؛ أي: هو كالمُهل، أو مثل المُهل[2].

معنى التَّعريف في قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾:

جاء التَّعريفُ في قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ للجنس؛ فالمُهل هو ما ذابَ مِن ذهبٍ، أو فضَّة، أو حديد، أو رصاص، ونحوه، ويجوز أن يكون للعهد الذِّهنيِّ؛ أي: المُهلُ المعهود، وهو مذابُ المعادن، وكان ابن مسعود ﷺ بالكوفة على بيت المال لعُمَر بن الخطّاب ﷺ، فأذابَ يومًا فضَّةً مكسَّرةً، فلمّا سالت، قال: "يَدخُلُ مَن بالباب"، فدخلوا، فقال لهم: هذا أشبَهُ ما رأينا في الدُّنيا بالمُهل، والمعنى: أنَّ هذه الشَّجرة إذا طَعِمها الكافرُ في جهنَّم صارت في جوفه تفعَلُ كما يفعل المُهل الحارُّ مِن الإحراق والإفساد[3].

شرابُ الكافرين مُهْلٌ وطعامُهم زقّوم، جزاءً بما كفروا بالحيِّ القيّوم

دلالة التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَغْلِي﴾:

جاء التَّعبير بالفعل المُضارع في قوله تعالى: ﴿يَغْلِي﴾ لإفادة التَّجدُّد، مع استحضار مشهَد الغليان؛ فالعذاب متجدِّد ومستمرٌّ أبدًا لا ينقطع، يُهان به كلُّ مسرفٍ كذّاب، والحالُ أنَّه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النِّساء: 56].

استحضارُ صورَةِ الانتقام جزاءَ ما اقترفوا مِنَ الآثام

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتها في قوله: ﴿فِي ٱلْبُطُونِ﴾:

الأصلُ في معنى ﴿فِي﴾ أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء؛ مكانيَّةً أو زمانيَّة، حقيقيَّةً أو مجازيَّة[4]، وهي هنا ظرفيَّةٌ مكانيَّةٌ حقيقيَّة، ومعنى ذلك أنَّ البطنَ هو المحلُّ، وأنَّ الغليان حالٌّ فيه، والغرضُ مِن هذا هو تبشيعُ العذاب، وتشنيعُ صور العقاب.

تبشيعُ العذاب، وتشنيعُ صوَرِ العقاب

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 663، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 131.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 131.

(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 55/ 21، والزمخشري، الكشّاف: 4/ 281، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 76/ 5، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 407، والآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 131.

(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 471، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 57.

معنى التَّعريف في ﴿ٱلۡبُطُونِ﴾ ودلالة مجيئها جمعًا:

امتلأت بطونُ الكفّار في الدُّنيا تكذيبًا وتأثيما، وستمتلئ يوم القيامة نارًا وزقّوما

التَّعريف في كلمة ﴿ٱلۡبُطُونِ﴾ للعَهْدِ، أي: في بطون الكفّار الآثمين الذين تكلَّمت عنهم الآيات، فهم آكلو الزَّقّومِ المعذَّبون به.

وقد جاءت جمعًا لإفادة التَّكثير، وبناؤها على (فُعول) يدلُّ على ذلك، فالذين أنكروا البعثَ والحسابَ والجزاءَ كثيرون، لكلٍّ منهم عذابُه، فيغلي الزَّقّوم في بطونهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦﴾ [الصافات: 66]، وكما قال سبحانه أيضًا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ٥١ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٥٣﴾ [الواقعة: 51 - 53].

بلاغة التَّشبيه في قوله تعالى: ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾:

بيانُ عظمةِ ما سَيُقاسونَه مِنَ الألم والجحيم

الحميم: هو الماء الشَّديد الحرارة، ومنه الحَمَّة - بفتح الحاء - وهي العين الجارية بالماء الحارِّ الذي يُستَشفَى به مِن أوجاعِ الأعضاء والدُّمَّل[1]، وقوله تعالى: ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ تشبيهٌ مرسَلٌ مجمَل[2]، فهو مرسَلٌ لذكر الأداة، ومجمَلٌ لعدم ذِكر وجهِ الشَّبه، ووجهُ الشَّبه هو هيئةُ غليانه[3]؛ أي: يغلي "غليانًا كغليان الماءِ الحارِّ الذي انتهى حرُّه وغليانُه لشدَّة حرارته وكراهية المَعِدة إيّاه"[4].

نوعُ الإضافةِ ودلالتُها في ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾:

تبشيعُ الصّورة وتقبيحُها

الإضافة في قوله تعالى: ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ معنويَّة؛ أفادت مع التَّعريف تهويلَ المضاف - وهو الغليان - وتبشيعَهُ في ذهن القارئ؛ أي: يغلي الزَّقّوم في بطن الكافر غليانًا عظيمًا كغليان الماء الذي انتهى حرُّه.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 299.

(2) الزحيلي، التفسير المنير: 25/ 233.

(3) الزمخشري، الكشّاف: 4/ 281، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 407، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 315.

(4) البروسوي، روح البيان: 8/ 427.

معنى التَّعريف في ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾:

تقريبُ الصّورة وإقامةُ الحُجَّة

(أل) في ﴿ٱلۡحَمِيمِ﴾ للعهد العِلْمِيِّ؛ فالمقصودُ أنَّه كالماء الحارِّ إذا اشتدَّ غليانه، وهو شيء قد ترسَّخت صورته في الذِّهن، ويسهُل استحضاره عند تشبيهِ شيءٍ ما به، وهو الغرض مِن التَّشبيه عمومًا: تقريبُ صورةِ البعيدِ غيرِ المعروفِ بتشبيههِ بالشَّيء القريب المعروف.

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الطَّعام والأُكُل:

لفظُ الطَّعامُ أنسبُ لِلَفْظِ الذَّوْقِ

الفرق بينهما أنَّ جذرَ الطَّعامِ أصلٌ مطَّردٌ منقاسٌ في تذوُّقِ الشَّيء[1]، أمّا جذر الأُكُل فليس على ذلك؛ إذِ الهمزة والكاف واللّام بابٌ تكثر فروعُه، والأصلُ كلمةٌ واحدةٌ، ومعناها التَّنَقُّص[2].

فأوثِرَ - لأجل ما سبق - في هذه الآية (الطَّعام) دون (الأُكُل)؛ لِما جاء بعدها في وصف ثمارِ شجرةِ الزَّقوم، ولِقولِ اللّه ﷻ: ﴿ذُقۡ﴾؛ أي: ذُقْ هذا العذاب[3]؛ فهذا الطَّعام منه.

الغَلَيان والفَوَران:

في الغَلَيان بلوغُ الشَّيء أعلى حرارته وتقلُّبُه في وعائه دون خروجٍ منه، وفي الفَوَران جيَشانُ الماء وخروجُه من وعائه

الفرق بينهما: أنَّ المعنى المحوريَّ لجذر الغَلَيان: هو بلوغُ حرارة الشَّيء أعلاها وتقلُّبُهُ وارتفاعهُ في وعائه[4]، أمّا المعنى المحوريُّ لجذر الفَوَران: فهو جَيَشانُ الماءِ ونحوه نافذًا ممّا يضمُّه إلى أعلى بقوَّةٍ واندفاع[5]؛ وقد أوثِرَ لفظُ (الفوران) دون (الغليان) في قول اللّه ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]؛ لأنَّه يدلُّ على خروجِ الماء من التَّنّور[6]، وأوثِر لفظُ (الغليان) دون (الفوَران) في

(1) ابن فارس، المقاييس: (طعم).
(2) ابن فارس، المقاييس: (أكل).
(3) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 236.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلي).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فور).
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 135، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 70.

قول الله ﷻ: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على بقاء هذا الطَّعام في البطون يتقلَّبُ فيها ويرتفعُ بأعلى حرارةٍ دون خروجٍ منها، كغَلْيِ الحميم، وذلك أشدُّ من خروجهِ بالفوَران في التَّعبير عن هذا العذاب؛ لأنَّ في الخروجِ تخلُّصًا، فدلَّ ذِكرُ لفظ (الغليان) دون (الفوَران) على أنَّ الأثيمَ لا يستطيع التَّخلُّصَ من هذا الطَّعام الذي يَغْلي في بطنِه، ويدلُّ على ما سبقَ أنَّ الحميمَ: الماءُ الشَّديدُ الحرارةِ الذي انتهى غليانُه[1] وتناهَى حرُّه بما يوقَد تحتَه، فهو يَثْبُت كأنَّه يريد أن يتخلَّصَ ممّا هو فيه من الحَرِّ[2]؛ فوجهُ الشَّبه بين غليانِ هذا الطَّعام في البطون وغليانِ الحميم هو هيئةُ الغليان[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 315.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 44.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 315.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"